# ظاهرة المتشابهات في ضوء البنية الكبرى للنص القرآني

د.شيرين سعيد السيد محمد

كلية دارالعلوم -مصر

"المتشابهات القرآنية" آيات تكررت في كتاب الله باختلافات يسيرة بينها، ومن ثم أضحت تلك الآيات مثارًا للكثير من التساؤلات حول أسباب الاختلاف ومواضع الاتفاق، فتباينت حولها المواقف؛ ففي حين اتخذها أعداء الإسلام سبيلًا للطعن في مصداقية القرآن زاعمين التناقض بين آي الذكر الحكيم، نجد الآيات ذاتها حظيت بعناية بالغة من البلاغيين والمفسرين منذ فجر الإسلام، وذلك بغية تيسر حفظ القرآن، وإحكام فهمه، والوقوف على أسرار بلاغته...

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى نظرتها الثنائية الأبعاد للمتشابهات من حيث ارتباطها بطرفين رئيسيين؛ الأول: يمثله العلاقات بين الآيات المتشابهة، والثاني: علاقة كل آية منها بالسورة التي وردت فيها، وذلك من خلال البنية الكبرى التي تسعى السورة لترسيخها، ثم من خلال علاقتها بالسياق السابق واللاحق. ومن ثم فإن ربط المتشابهات بالبنية الكبرى يسهم بشكل بارز في الوقوف على التناسب القرآني، وتجلية ظاهرة التماسك النصي في كتاب الله -عز وجل-، إضافة إلى التعرف على الأسرار البلاغية لمواضع التشابه والتباين بين تلك الآيات .

وقد استهلت الدراسة بمدخل حول ظاهرة المتشابهات ومنهج الدارسين في تناولها ثم مهاد نظري عن مفهوم البنية الكبرى وكيفية الوصول إليها، يليها مبحثان:

المبحث الأول : التشابه بين الآيات المفردة .

المبحث الثاني : تشابه المشاهد القرآنية .

**المدخل**

لقد تعرض البلاغيون والمفسرون على حد سواء لظاهرة المتشابهات في مصنفاتهم لما لها من أهمية بالغة سواء كان ذلك في أثناء تفسيرهم، أو من خلال إفراد مصنفات خاصة بها، وعلى رأس الفريق الثاني الإسكافي في "درة التنزيل وغرة التأويل"، والكرماني في"البرهان في متشابه القرآن"، وابن الزبير الغرناطي في سفره الجليل "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"، وابن جماعة في كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، ومن المحدثين الدكتور فاضل السامرائي خاصة في كتابيه: "التعبير القرآني" ، و"من أسرار البيان القرآني "

وبالنسبة للمنهج الذي انتهجه البلاغيون في دراسة المتشابهات فقد اعتمدوا غالبًا على النظر للسياق، ومدى موائمة الآية له، وقد تنوعت نظرتهم لتلك الموائمة بين مراعاة الجوانب الصوتية وأبرزها الفاصلة القرآنية، أو مراعاة البنية الأسلوبية للسياق، أو المشاكلة... إلخ.

ومع تطور علوم اللغة واللسانيات انفتحت أفاق جديدة أمام الدارسين لبلاغة القرآن، فكان لابد من أن يتسع مجال الرؤية في تفسير المتشابهات القرآنية، ومن هنا كانت فكرة تلك الدراسة في النظر للمتشابهات في ضوء البنية الكبرى للنص.

ومن الإنصاف الإشارة إلى أن البحث عن البنية الكبرى للنص ليست فكرة وليدة للدراسات الغربية وحسب، لكنها وردت في كتابات المفسرين والبلاغيين أيضًا، وأخص بالذكر منهم الشيخ حميد الدين الفراهي؛ حيث أشار إلى ما أسماه بـ(عمود السورة) في أثناء حديثه عن وجود نظام عام للقرآن، وقد فصل مفهوم عمود السورة في كتابه "دلائل النظام "مبينًا أن النظام لابد أن يرتكز على عمود، وجعل ذلك تمهيدًا لتطبيق ذلك في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"؛ حيث فسر عددًا من سور الكتاب العزيز طبقًا لفكرة النظام التي تبناها مبينًا عمود السور، فوجد أن عمود السورة يشد رباط الأي بأوثق العرى، ويسهم بشكل بارز في تجلية الروابط الدلالية، إلا أنه توفي –رحمه الله تعالى-قبل أن يتم ذلك الجهد، كما أنه لم يوظفه في قضية المتشابهات على النحو اللائق بتلك القضية، ولعل ذلك يرجع لانشغاله بالبحث في فكرة وجود نظام عام للقرآن[1]، فكانت هذه الدراسة إحياءً لذلك الفكر مع ربطه بمنجزات علم النص ومفهومه عن البنية الكبرى وكيفية استخلاصها من النص، ثم إعادة توظيف ذلك في خدمة تفسير المتشابهات القرآنية .

ولعل من أبرز المحاولات أيضًا محاولة البقاعي في البحث عن فكرة مقصدية أو عمود للسورة في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وقد عبر عنه بمقصود السورة، وكان يستهل تفسيره بتحديد مقصود السورة، وكذلك وردت بعض الإشارات والمحاولات الجادة لاستخراج مقصد السورة في "التفسير البنائي للقرآن الكريم" لمحمود البستاني، إلا أن الغالب على تفسيره هو فكرة بناء الآيات بعضها على بعض ، والهيكلة العامة للسورة، ومن ثم فإن الجهد الأبرز في مجال التأصيل النظري لذلك كان من نصيب الشيخ الفراهي .

---

[1] – لقد وردت بعض المواضع التي تحدث فيها الفراهي عن المتشابهات إلا أنها جاءت في سياق مراعاة الترتيب ولم يفصل الذكر فيها ولكنها إشارات وحسب، ومنها ما ذكره تحت عنوان المناسبة والترتيب في كتابه دلائل النظام:عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، 1388هـ، انظرصـ52، وما ذكره من تقديم السمع على البصر في بعض الآيات إلا أنها لا تقع ضمن المتشابهات على التعريف الذي قدمته الباحثة انظر السابق صـ60 .

## البنية الكبرى للنص

لقد ظل النقد العربي يرفل في ضوء الجملة ومكوناتها وبنيتها التركيبية وعلاقتها بغيرها من خلال مبحث الفصل والوصل إلى أن تكشفت الأمور عن علم النص وأهميته في الكشف عن جماليات النص، وهذا العلم وإن كان غربي الأصول إلا أن بذرته الأولى تجلت لدى المفسرين الذين نظروا للقرآن الكريم بوصفه وحدة متكاملة يفسر بعضها بعضًا، بل إن علماء الشريعة على نحو عام اعتنوا بتفسير القرآن بالقرآن بوصفه المرحلة الأولى والأهم في التفسير[2]، وعلى رأس هؤلاء أصحاب التفاسير خاصية من اعتنوا بتجلية الجوانب البلاغية من أمثال الزمخشري في الكشاف والألوسي في روح المعاني.

ويرتكز علم النص على سبعة معايير أساسية للاعتداد بنصية الخطاب هي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والسياق، والتناص، والإعلامية[3]، وأتوقف فقط عند تعريف الحبك لاتصال مفهوم البنية الكبرى للنص به اتصالًا مباشرًا.

يشير علماء النص إلى أن الحبك يتعلق بالجانب الدلالي للنص، وليس بالبنية اللفظية للمفردات والتراكيب؛ حيث "يتطلب من الاجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي CONCEPTUAL CONNECTIVITY واسترجاعه"[4]، فالحبك يُعنَى بالاستمرارية الدلالية التي تظهر في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين المفاهيم[5]، وله عدة وسائل؛ منها ما يتعلق بالعلاقات الدلالية بين الجمل، ومنها ما يتصل بالمحاور الدلالية الرئيسة في النص أو بالمتتاليات، وعلى سبيل المثال علاقات: السببية، والعموم والخصوص، والتفصيل والإجمال، والحوار، والإضراب، والإنكار، والشرط، والتذييل، والمقابلة، والتخصيص...إلخ[6]، ومنها ما يتصل بالصورة

---

[2] – لقد أشار لذلك ابن تيمية فقال :"فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"مقدمة في أصول التفسير : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي،مكتبة الحياة،بيروت، لبنان،1490هـ-1980م،صـ 39

[3] –النص والخطاب والإجراء : روبرت دي بوجراند ، ترجمة: د. تمام حسان ، عالم الكتب، القاهرة ، ط2 ، 1428 هـ -2007م ، إلا أنه أطلق على السياق رعاية الموقف وسمى الحبك بالالتحام، انظر صـ103 وما يليها

[4] – النص والخطاب والإجراء : صـ 103 .

[5] – في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية أفاق جديدة: د.سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط2،2010م، انظر صـ228.

[6] – وقد أشار لتلك العلاقات الدكتور يسري نوفل في كتابه المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة: د. يسري نوفل ، دار النابغة ، القاهرة، الإسكندرية ، ط1، 1436هـ-2014م، انظر صـ 128 وما يليها، وقد وجدت بعض التقسيمات للعلاقات الدلالية غير تلك الصورة، فمنها ما أشار إليه الدكتور جميل عبد المجيد

وطريقة بنائها في النص، ومن ضمن صور الحبك ما يتصل بدراسة البنية الكبرى للنص؛ حيث " تتمثل البنية الدلالية العامة لنص ما بصورة مجردة في البنية الكبرى"[7]، فهي إن صح التعبير "تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص"[8] ، ولعل فان دايك هو أبرز من تكلم في البنية الكبرى، وبين كيفية استخلاصها من النص معتمدًا على أربع قواعد رئيسة للوصول إليها وهي:

1-الحذف.

2- الاختيار .

3- التعميم .

4-التركيب أو الإدماج.

ويقصد بالحذف حذف المعلومات الفرعية من النص، ولو حاولنا التمثيل على ذلك في قولنا:

أ-رأيت شابًا مسرعًا .

ب- بيده هاتف .

ج- كان الهاتف قديمًا.

فوفق القاعدة السابقة يمكن اختصار الجمل الثلاثة على النحو التالي: رأيت شابًا مسرعًا بيده هاتف، ويمكن إيجازها أكثر من ذلك فنقول: رأيت شابًا مسرعًا .

أما عن القاعدة الثانية وهي: الاختيار، فإن فان دايك يقصد بها اختيار المعلومات الأكثر أهمية، وحذف ما هو قيود أو أجزاء أو فرضيات لقضية أخرى، ويمكننا التمثيل على ذلك من خلال الجمل التالية :

أ-انتظر أحمد سيارة العمل .

ب- أتت السيارة في موعدها .

ج- ركبها .

د- وصل أحمد إلى عمله في موعده .

حيث يمكننا اختصار المعلومات السابقة من خلال عملية الاختيار فنقول: وصل أحمد إلى عمله بالسيارة في موعده.

---

من تقسيم العلاقات لعلاقتين رئيسيتين هما علاقتا الربط والتبعية أو الاعتماد، ويتفرع منهما تسع عشرة علاقة ، راجع البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية :جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م ، انظر صـ 143 وما يليها .

7 – علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق : د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة ، ط2، 2005م، صـ 75 .

8 – بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، 1996م، صـ330 ، وانظر المعنى نفسه أيضًا في علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : صـ208.

ويشترط فان ديك لقاعدة الاختيار أن يكون ثمة سلسلة من المعلومات يكون جزء منها مؤسسًا للمعنى ، والآخر غير مؤسس له؛ ليتم اختيار المعنى المؤسس دون غيره .

القاعدة الثالثة هي: التعميم؛ حيث تحذف معلومات أساسية لتحل محل القضية القديمة أخرى جديدة، ويمكن التمثيل على ذلك على النحو التالي :

أ-على الأرض أوراق .

ب-على الأرض أقلام .

ج- على الأرض مساطر.

فتكون القضية الجديدة هي: على الأرض أدوات كتابية .

والقاعدة الرابعة هي: التركيب؛ حيث تحل معلومة جديدة مكان أخرى قديمة دون حذف أو اختيار، ويمكن التمثيل على ذلك بقولنا :

أ-ذهبت إلى المطار .

ب- وضعت الأمتعة.

ج – أنهيت إجراءات السفر .

د-صعدت إلى الطائرة.

هـ- أقلعت الطائرة.

يمكننا أن نقول: ركبت الطائرة [9]

والحقيقة أن هذه القواعد الأربع التي وضعها دايك لتيسير استخلاص البنية الكبرى للنص لقيت غير قليل من النقد، فقد أشار الدكتور محمد خطابي–على سبيل المثال-إلى أن طريقة الوصول للبنية الكبرى تختلف من نص لآخر، وأن القواعد التي وضعها دايك غير مناسبة؛ لأننا لا نستطع حذف المعلومات العرضية من النص الشعري لاختزاله؛ وذلك نظرًا لصعوبة وضع مقياس واضح لعرضية المعلومة من أصالتها، كما أن القول بالتعميم والانتقاء والتركيب غير ملائم أيضًا؛ لأنه يرى النص الشعري نصًّا مركبًا معقدًا، ومن ثم فهو ينادي بأخذ النص بكليته بعين الاعتبار عند استخلاص البنية الكبرى[10] .

---

[9] –علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : انظر صـ81 وما يليها .

[10] –لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، بيروت –لبنان ، ط2، 2006م ، انظر صـ284 وما يليها ، وقد طبق المصنف فكرته على قصيدة فارس الكلمات الغريبة .

ولأننا لا نود الدخول إلى معترك الأخذ والرد فنكتفي بالقول بأن كل نص يفرض آلياته في استخلاص بنيته الكبرى، وهو ما سوف يتجلى عند استخلاص البنية الكبرى للسور والربط بينها وبين المتشابهات في المبحث التالي .

أما بالنسبة للمنهج الذي ستعتمده الدراسة فهو على النحو التالي:

1-تحديد المحاور الرئيسة في السورة .

2- استخلاص البنية الكبرى للسورة من خلال المعاني الرئيسة المشتركة التي ترددت في تلك المحاور.

3- تفسير المتشابهات في ضوء تلك البنية الكبرى للسورة، وتلك المتشابهات تنحو نحو وجهتين؛ الأولى: التشابه بين آيات مفردة، والثاني وجود مشاهد تصويرية متشابهة ، ومن هنا كان تقسيم الدراسة لمبحثين وفقًا لذلك التقسيم كما سلفت الإشارة .

## المبحث الأول

## التشابه بين الآيات المفردة

والمقصود بذلك أن بعض الآيات المفردة قد تتشابه بحيث يكون بينها كثير من السمات المشتركة وقليل من الاختلافات اللفظية بالزيادة أو النقصان أو التغيير...، والوقوف على الأسرار البيانية لأمثال تلك الآيات يستوجب أمرين؛ الأول: معرفة البنية الكبرى للسورة للوقوف على المعنى الأم الذي أدى لهذا التغاير في آي الكتاب العزيز، والثاني: دراسة السياق السابق واللاحق والوقوف على السياق الخارجي إن وجد .

ومن الأمثلة الجلية على ذلك قوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾الأنبياء(35)، وقوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت(57) ، والسورتان مكيتان، وهناك آية ثالثة في آل عمران تشترك معهما إلا أنها لا تملك سمات تشابه قوية شأن آيتي الأنبياء والعنكبوت، ومن ثم فسنتعرض لها في عجالة سريعة، والآية المعنية هي قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾آل عمران(185)، والسورة مدنية.

ويتجلى الفارق بين آيتي الأنبياء والعنكبوت على النحو التالي :

أولًا: ذكر قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ في الأنبياء دون العنكبوت.

ثانيًا: استخدام الواو في الأنبياء، و(ثم) في العنكبوت.

والآيات الثلاث تشترك في قوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ولابد من الانتباه إلى ذلك العموم الملاحظ في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ هذا العموم الذي يرد كل نفس لبشريتها، وأن الموت قادم والحساب لا مفر منه ، ثم ﴿ذَائِقَةُ﴾، والذوق يقترن بالعذاب كثيرًا في القرآن "وَاسْتُعِيرَ الذَّوْقُ لِمُطْلَقِ الْإِحْسَاسِ الْبَاطِنِيِّ لِأَنَّ الذَّوْقَ إِحْسَاسٌ بِاللِّسَانِ يُقَارِنُهُ ازْدِرَادٌ إِلَى الْبَاطِنِ"[11]، وهو ما يوحي بشدة سكرات ذلك الموت وألمه ، ثم استخدام اسم الفاعل للدلالة على ثبوت ذلك الذوق حتى أضحى حالة ملازمة للنفس .

ونبدأ بتحديد أبرز محاور سورة الأنبياء للتعرف على البنية الكبرى لها، وهي على النحو التالي:

1- في الآيات من(1-15) إشارة إلى غفلة الناس عن اقتراب الحساب؛ حيث استهل ذلك المحور بالتهديد باقتراب الحساب مع غفلة الناس عنه، ثم بيان لبعض مظاهر غفلة المشركين عن ذلك، وقد ذكر القرآن من مظاهر غفلتهم موقفهم من القرآن والنبي-صلى الله عليه وسلم-، ثم أشار إلى هلاك السابقين من الكافرين ونجاة المؤمنين، وردَّ على افتراءات أهل الباطل على النبي-صلى الله عليه وسلم-والقرآن.

2-وفي الآيات من(16-95) تجلى الحديث عن التوحيد، وذلك من خلال التمهيد بتنزيه الله –عز وجل-عن العبث وبيان أن الله سبحانه وتعالى يحق الحق ويدمغ الباطل، وأن جميع المخلوقات طوع أمره لا يستكبرون عن عبادته؛ ليكون ذلك مدخلًا لجدال المشركين في شركهم، وذلك من خلال وجوه عدة منها:

-بيان أن الرسل أرسلوا بالتوحيد .

- الاستدلال بالمخلوقات على الخالق من خلال بعض الآيات الكونية.

-التأكيد على أن الموت سنة من سنن الله الكونية ستنال جميع البشر بعد الابتلاء والتمحيص لينال كل امرىء جزاء سعيه .

- بيان موقف المشركين وسخريتهم من النبي-صلى الله عليه وسلم-، والرد عليهم وبيان جزائهم، وأن موقفهم من النبي-صلى الله عليه وسلم-نابع من كفرهم بالله، والتأكيد على أن وظيفة الرسل الإنذار بما أوحاه الله إليهم.

- النهي عن العجلة والتحذير من النار ومن مصائر السابقين عليهم .

- التأكيد عن عجز الآلهة المزعومة عن نصرهم .

- تهديد بالعذاب والعقاب يوم القيامة .

---

[11] – التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ،ج17 صـ 63

-التطرق لقصص بعض الأنبياء السابقين، فبدأ بعطاء الله لموسى وهارون ثم تلاه ذكر ابتلاءات الله للأنبياء-عليهم السلام- وكيف أنجاهم الله منها .

-الدعوة لعبادة الله وحده، وبيان جزاء المؤمن وهلاك الكافر.

3- في الآيات من (96-112) ناقشت السورة فكرة الحساب ، وقد بدأت بالحديث عن علامة من علامات اقتراب الساعة وهي خروج يأجوج ومأجوج، ثم بين الله-عز وجل- كيف تمايزت المصائر من حيث هلاك الكافرين وما يعبدون ونجاة المؤمنين هذا في الآخرة ،أما في الدنيا فقد أكد الله أن الصالحين هم الذين سيرثون الأرض، والختام بدعوة النبي-صلى الله عليه وسلم- المشركين للتوحيد والتحذير والوعيد، وأن ما هم فيه فتنة ومتاع إلى حين، وأخيرًا فالله هو الحكم والمستعان .

وهكذا ختم المشهد الأخير في السورة بالحساب كما بدأت السورة بالحديث عن غفلة الناس عن الحساب.

ويشير المفسرون إلى أن هذه السورة نزلت قرب الهجرة، وفيها حديث جلي عن الحساب، ولعل هذا هو ما حمل البقاعي على القول أن "مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير؛ لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لا يبدل القول لديه، والدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء- عليهم السلام-، ولا يستقل قصة منها استقلالًا ظاهرًا بجميع ذلك كما سنبين، ولا تخلو قصة من قصصهم من دلالة على شيء من ذلك فنسبت إلى الكل-والله الموفق"[12]، في حين رأى الفراهي أن عمود السورة "في اقتراب عذاب كفار مكة وهي قبيل الهجرة" [13] .

وهاتان الرؤيتان إضافة إلى محاور السورة تبينان أن العامل المشترك بين المحاور الثلاثة هو التأكيد على الحساب الذي سيفوز فيه المؤمنون ويهلك الكافرون، ومن ثم يمكننا القول إن هذا المعنى هو عمود السورة أو بنيتها الكبرى، والحساب هنا بمعناه الواسع سواء كان دنيويًا أو أخرويًا، وأن النتيجة في كليهما هي خذلان الكافرين ونصرة الله للموحدين، ولا يخفى ما في هذا من التعريض بهزيمة المشركين في الدنيا، وتبشير المؤمنين بالتمكين، ومن ثم فالآية المحورية في السورة هي قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ(1)﴾

12 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، 1403هـ – 1983، ج12صـ 378 .

13 – دلائل النظام : صـ96 .

وننتقل الآن إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الذي جاء في إطار ذكر الحساب وأنه لابد واقع، وفي الآية عدة نكات بلاغية منها:

أ-أنه ذكر الابتلاء بالخير والشر فقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾؛ لأن الحساب الذي يمثل البنية الكبرى للسورة يستلزم الابتلاءات لتمحيص المؤمن من الكافر، في حين أن الوضع في سورة العنكبوت بخلاف ذلك.

ب- إن في الآية تقديمًا يجب الالتفات إليه؛ فقد ذكر الموت، ثم الابتلاء بالخير والشر، والموت يقع بعد الابتلاء والفتن وليس العكس، وإنما وقع ذلك التقديم ليتصل الموت بالآية السابقة عليها المتعلقة بانتظار الكفار موت النبي-صلى الله عليه وسلم- وشماتتهم به، لذا قدم ما هو ألصق بالسياق، ثم التثنية بالابتلاء لاتصاله بما سيرد من آيات تشير إلى سخرية المشركين من النبي-صلى الله عليه وسلم-، خاصة أنه قدم الابتلاء بالشر؛ ليناسب حال المشركين وفعلهم فقال: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾الأنبياء (36)، ومن ثم أخرت لتكون أقرب للسياق اللاحق لها،" وقدم الشر لأنه اللائق بالمنكر عليهم أو لأنه ألصق بالموت المذكور قبله" [14]

ج- الآية فيها التفات لتنبيه المتلقي إلى عظم الابتلاء وشدة التمحيص لتمييز الجزاء فقال: "وَنَبْلُوكُمْ، الخطاب: إما للناس كافة بطريق التلوين، أو للكفرة بطريق الالتفات، وسمي ابتلاء، وإن كان عالمًا بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار، أي: نختبركم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ، أي: بالفقر والغنى، أو بالضر والنفع، أو بالعطاء والمنع، أو بالذل والعز، أو بالبلاء والعافية، فِتْنَةً اختبارًا، هل تصبرون وتشكرون، أو تجزعون وتكفرون. و(فِتْنَةً) : مصدر مؤكد لـ(نَبْلُوكُمْ) من غير لفظه. (وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ)لا إلى غيرنا، فنجازيكم على حسب ما يُؤخذ منكم من الصبر والشكر أو الجزع والكفران "[15]

د - تؤدي الواو الاستئنافية في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ دورًا بالغ الحساسية؛ حيث أبرزت شأن ذلك الابتلاء وجلت عظمته[16]، وهو معنى وثيق الصلة بدلالة الحساب فلا

---

14 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، تحقيق: فؤاد بن سراج عبد الغفار ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، جـ9صـ457 .

15 –البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي ، القاهرة،1419هـ، 1999م، جـ3 صـ 460

16 – راجع ما قاله الخضري في شأن واو الاستئناف في كتابه الواو ومواقعها في النظم القرآني : محمد الأمين الخضري ، مكتبة وهبة القاهرة، 2015م، انظر صـ438 .

حساب ولا جزاء إلا بعد تمحيص وتمييز واختيار، وقد اختلف في الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، فقيل:إنها استئنافية، وقيل للحال، وواو الحال تشير إلى أن الجملة توشك أن تكون خبرًا مستقلًا عن الخبر الأول[17]، ومن هنا يمكننا النظر للواو على مستويين: الأول: إبراز معنى الرجوع لله –عز وجل- وتفخيمه وكأنه حدث مستقل بذاته فالواو على هذا بالحال أولى، والثاني: تعظيم شأن الرجوع لله –عز وجل-وربطه بالابتلاء ليتذكر المؤمن أن ما يحدث له دواؤه الصبر حتى يرجع إلى ربه فيجازيه، ومن ثم تكون الواو استئنافية، وعلى كلا المعنيين فالواو وثيقة الصلة بالحساب والجزاء .

ذ- استخدام النص لمادة (فتن) يوحي بالشدة والقوة في الاختبار ليتميز الجزاء حسب مراتب البشر من الفتن، "جِماعُ مَعْنَى الفِتْنة الِابْتِلَاءُ والامْتِحانُ وَالِاخْتِبَارُ، وأَصلها مأْخوذ مِنْ قَوْلِكَ فتَنْتُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ إِذا أَذبتهما بِالنَّارِ لِتُمَيِّزَ الرَّدِيءَ مِنَ الجيِّدِ، وَفِي الصِّحَاحِ: إِذا أَدخلته النَّارَ لِتَنْظُرَ مَا جَوْدَتُه، وَدِينَارٌ مَفْتُون. والفَتْنُ: الإِحْراقُ"[18]، ويؤيد ذلك معنى (نبلوكم) فالفرق بَين الِابْتِلَاء والاختبار"أَن الِابْتِلَاء لَا يكون إِلَّا بتحميل المكاره والمشاق والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب أَلا ترى أَنه يُقَال اختبره بالانعام عَلَيْهِ وَلَا يُقَال ابتلاه بذلك ، وَلَا هُوَ مبتلى بِالنعْمَةِ كَمَا قد يُقَال أَنه مختبر بهَا، وَيجوز أَن يُقَال إِن الِابْتِلَاء يَقْتَضِي اسْتِخْرَاج مَا عِنْد الْمُبْتَلى من الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة والاختبار وُقُوع الْخَبَر بِحَالَة فِي ذَلِك، وَالْخَبَر الْعلم الَّذِي يَقع بكنه الشَّيْء وَحَقِيقَته فَالْفرق بَينهمَا بَين"[19]

**فإذا انتقلنا إلى سورة العنكبوت فإن ثمة محاور ثلاثة رئيسة تكتنف النص وهي على النحو التالي:**

1-الآيات من(13-1) تناولت حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين. ثم فردية التبعة فلا يحمل أحد عن أحد شيئًا يوم القيامة: ﴿وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ(13)﴾ ..

---

17 – كتاب دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر، ط3، 1423هـ –1992م ، انظر صـ213،و قراءة في الأدب القديم : د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط3، 1427هـ ، 2006م، انظر صـ51 ، والواو ومواقعها في النظم القرآني: انظر صـ553.

18 - لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: نخبة من الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، 2003م، مادة فتن.

19– الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، صـ 216.

2-الآيات من(45-14) تعرضت للقصص التي تصور الفتن والعقبات في طريق الدعوات والدعاة، والتهوين من شأنها في النهاية حين تقاس إلى قوة الله –عز وجل-، وبيان نجاة المؤمنين بعد الابتلاء والتمحيص، ثم الحديث عن الحق الكامن في دعوة الرسل، وهو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض. وكله من عند الله.

3- الآيات من (69-46) فيها نهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى. إلا الذين ظلموا منهم. ثم حديث عن وحدة الدين كله، واتحاده في الأصول مع هذا الدين الأخير الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون. والرد على استعجال المشركين للعذاب، وبيان أن سبيل المؤمنين هو الهجرة ، وأن الرزق والأجل مكتوب عند الله، ثم جدال المشركين، وتختتم بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبل الله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [20]..

وقد تباينت نظرة المفسرين في التعرف على عمود السورة ؛ ذكر بعض المفسرين أنها "واردة بصدد الجهاد ضد الفتنة" [21]، وذكر البقاعي أن مقصودها "الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحمده من غير فترة، كما ختمت به السورة الماضية، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلًا، لئلا يكون مَثَلُ الفرج عند المتعوض عوضًا منه مَثَلَ العنكبوت، فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين، وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت وأنه دال على مقصودها " [22] ، وذكر الفراهي قريبًا من ذلك المعنى فقال إنها "في وعد الموحدين المؤمنين بالفوز ونصر الله"[23].

وواضح بالفعل أنها في بيان نصر المؤمنين وأنه سنة من سنن الله الكونية لا تكون إلا بعد الفتن والابتلاء، ومن ثم فإن قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت(57) يدور في إطار وعد الموحدين بالنصر والتمكين بعد أن ذكر الابتلاء والفتن ويؤيد ذلك شواهد عدة؛ فمن ذلك:

*ذكر مادة (فتن) في أكثر من موضع فقال: يفتنون(2) ، فتنا(3).

---

[20] – راجع ما كتبه سيد قطب فقد استفدت منه في تحديد محاور السورة في ظلال القرآن :سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ، بيروت ، ط22، 1414هـ-1994م، انظر جـ5صـ 2719 .

[21] – السابق: جـ5 صـ 2718، وكذلك محتويات سور القرآن الكريم: أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الطويل، مدار الوطن ، الرياض، ط1، 1434هـ، صـ206.

[22] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : جـ14صـ 384 .

[23] –دلائل النظام : صـ96 .

*التعرض لصور متنوعة من الفتن، منها ما يقوم به الوالدان من دعوة ولدهما للشرك وتأكيد الله – عز وجل- على وجوب البر بالوالدين مع رفض دعوتهما له بالشرك ، ويمثل الإيذاء في الله وفتنة الناس صورة أخرى للفتن، ثم الحديث عن الفتن التي حدثت للأنبياء...، وأخيرًا كان الخلاص من تلك الفتن بالهجرة فرارًا بالدين﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ(56)، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ(57)﴾

وتشمل الآية الأخيرة عدة نكات منها :

أ-أن الآية لم يرد فيها ذكر للفتن شأن نظيرتها في سورة الأنبياء وذلك لاتصالها بأمرين؛

الأول: عمود السورة المتمثل في التأكيد على فوز المؤمنين، ومن ثم فلا حاجة لذكر الفتن؛ خاصة أن السورة حافلة بذكرها في محاورها الثلاثة .

الثاني: أن السورة في سياق الحديث عن الهجرة وتهدئة روع المؤمنين لخوفهم من فراق المال والوطن وتبشيرهم بالفوز والنصر، وحثهم على نبذ الخوف من الموت وفوات الرزق، فكان ترك ذكر الابتلاء أليق بالسياق "وفي ثنايا هذا الجدل يدعو المؤمنين إلى الهجرة فرارًا بدينهم من الفتنة، غير خائفين من الموت، إذ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ غير خائفين من فوات الرزق: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُها وَإِيَّاكُمْ﴾ ... " [24]

ب-أن النص القرآني استخدم حرف الجر(ثم) وهو للتراخي كما أشار النحاة، وذلك لأمرين:

الأول: إضفاء مساحة زمنية بين الموت والرجوع للحساب؛ لأن عمود السورة يتمثل في تأكيد فوز المؤمنين والتمكين بعد الابتلاء، والسياق السابق واللاحق يشير إلى أنها خطاب للمؤمنين، ومن ثم فإن هذا التراخي الزمني يكشف المسكوت عنه من ذكر الحساب بعد الموت، ويبرز طول مدته، وهو ما يجعل النفس تقبل على الفرار بدينها، وتستصغر ألم فراق الأهل والمال والوطن مقارنة بذلك الحساب خاصة مع ضمان الله -عز وجل- لها الأجل والرزق.

الثاني: أنه لما حيل بين الكلامين بقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ فقام مقام التراخي واستخدمت الواو، أما حين لم تذكر ذكرت (ثم) للدلالة على التراخي[25]

وفي آل عمران آية تشترك مع آيتي الأنبياء والعنكبوت في بعض الألفاظ ، وإن كانت لا تملك الكثير من سمات التشابه شأن آيتي العنكبوت والأنبياء، أعني بذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ

[24] – في ظلال القرآن : جـ5 صـ 2718 .

[25] –البرهان في متشابه القرآن : محمود بن حمزة بن نضر الكرماني، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2، 1418هـ-1998م، انظر صـ240.

الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ(185)﴾آل عمران. ونتوقف عند أهم محاور السورة، لنتعرف على حقيقة البنية الكبرى لها ، وهي:

1- الاستهلال بالتعريف بالله -عز وجل- وصفاته ووحدانيته وكتابه.

2- بيان موقف المؤمنين والمشركين من آيات الله، وجزاء كل منهم.

3- التأكيد على أن الدين الحق الذي لا يقبل سواه هو الإسلام.

4- ذكر أهل الكتاب، ورفضهم الاحتكام لآيات الله والنهي عن ولايتهم، وبيان أصنافهم، ومواقفهم من المؤمنين، وبيان لضلالاتهم وسماتهم ، وجدالهم في عقائدهم الفاسدة .

5- وجوب البراءة من الشرك وأهله، وأن هذا أصل من أصول الإيمان.

6-مشاهد من قصة امرأة عمران وولادة السيدة مريم، ثم عبادة السيدة مريم وولادة السيد المسيح-عليه السلام- ، وأخيرا قصة نبي الله زكريا-عليه السلام- وولادة يحيى-عليه السلام-، والتركيز في القصص الواردة عمومًا على أمور عدة، منها: عبوديتهم لله، والولادة بطريقة مخالفة للمعهود أو معجزة كما في حالة عيسى-عليه السلام-، وأنها خاضعة لمشيئة الله، وأخيرًا ظهور فكرة توفية الجزاء ذلك أن امرأة عمران نذرت ما في بطنها فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنًا، وفي قصة زكريا-عليه السلام- كانت الإجابة توفية للدعاء، وفي قصة عيسى-عليه السلام- بيان لجزاء الطائعين والعصاة، وقد كانت قصة ولادة المسيح بيانًا لأهل الكتاب على فساد عقيدهم في الشرك.

7-خطاب المؤمنين وأمرهم بالاعتصام بحبل الله ودينه، والدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتذكير بالجزاء في الآخرة .

8-حديث عن أحد، وجزاء مخالفة أمر النبي-صلى الله عليه وسلم- واستحضار مشهد الهزيمة، ذلك أن طاعة الرسول واجبة فهو المبلغ عن ربه.

9-المسارعة في طلب المغفرة من الله وبيان صفات المتقين.

10-ذكر موقف الكفار واليهود، وكيف استحل اليهود قتل رسلهم وكذبوهم وفي هذا السياق وورد قوله تعالى:(كل نفس..)

11-بيان أنه لا يغني عن الإيمان شيء.

12-ذكر بعض الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله.

13-الختام ببيان صفات أولي الألباب ووعد الله بالاستجابة لهم، ووعده للمتقين بالجنات وبيان أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، والأمر بالصبر والمرابطة وتقوى الله.

ويتبين مما سبق أن أبرز النقاط التي ركزت عليها السورة هي تجريد التوحيد، لأنه الأصل الذي لا يقبل الجدل والمناقشة، والآية المحورية هي قوله تعالى:﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(2)﴾ آل عمران، وقد ذكر البقاعي أن مقصد السورة هو التوحيد بالقصد[26]، وذكر الفراهي أنها سورة الإسلام[27]، والسورة جميعها تفيض بتجريد التوحيد لله، ومنها: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) ﴾﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) ﴾﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(64)﴾﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(85)﴾﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ(90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ(91)﴾﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(116)﴾

وواضح أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ﴾ يسير في فلك التوحيد الذي هو مقصود السورة؛ حيث إن الجزاء عامل مهم من عوامل تثبيت المؤمنين على التوحيد، وردع المشركين عن الشرك. وقد ساهم البناء الأسلوبي للآية في ترسيخ ذلك المعنى، وذلك على النحو التالي:

- استخدام أداة الحصر (إِنَّما) "حاصرة على التوفية التي هي على الكمال، لأن من قضي له بالجنة فهو ما لم يدخلها غير موفى" [28]

---

[26]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: انظرج4صـ 196

[27] –دلائل النظام : انظر صـ93

[28] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1422 هـ ، جـ1صـ 550

-استخدام لفظ(توفون)"يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)"[29]، إضافة إلى صيغة المضارع الموحي باستمرارية تلك التوفيقة للترغيب في نعيم الجنان والترهيب من اتباع الشيطان.

-خصص الله تعالى ذكره(الأجور) لشرفها وللإشارة إلى مغفرته لمحمد-صلى الله عليه وسلم- وأمته، والتوفية تقع يوم القيامة وهي للأجور والعقاب كذلك [30].

- استخدم صيغة الخطاب لتنبيه السامعين وإشراكهم في التلقي فالجميع سيوفى أجره يوم القيامة.

-زحرح "الزَّحُّ هُوَ الْجَذْبُ بِعَجَلَةٍ، وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّهُ كَانَ فِي النَّارِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِكَثْرَةِ آفَاتِهَا وَشِدَّةِ بَلِيَّاتِهَا، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ)"[31]، ويشير قطب إلى ما يصوره جرس اللفظ من جاذبية النار لكل من يقترب منها فهو في حاجة لمن يخلصه من جاذبيتها، وللمعصية جاذبية كذلك، والنفس في حاجة لمن يزحزحها عن تلك الجاذبية وهذا هو الفوز[32].

- وقد قرنت الآية بين زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، مَعَ أَنَّ فِي الثَّانِي غناء عَنِ الْأَوَّلِ، "لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ يَشْتَمِلُ عَلَى نِعْمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَنَعِيمُ الْجَنَّةِ."[33]، والتذكير بالنعمتين هنا لبيان كريم فضل الله في الزيادة على توفية الحقوق، ولأن تعداد النعم فيه مزيد تثبيت للمؤمنين بما توجبه النعم من شكر المنعم سبحانه.

- ويشير المفسرون إلى علاقة الآية بالْغَرَضِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ، وَهُوَ تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هزيمة أُحُدٍ، وأن هزيمتهم ليست خذلانًا لهم، ثم فند مزاعم الْمُنَافِقِينَ أَنَّ المسلمين لَوِ اسْتَشَارُوهُمْ فِي الْقِتَالِ لنجوا، وأخيرًا بَيَّنَ فَوَائِدَ تلك الهزيمة بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى مَا فاتَكُمْ﴾ آل

---

[29] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418 هـ ، جـ2صـ 52

[30] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : انظرجـ1صـ 550

[31] – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420 هـ، جـ9صـ 453، وكذلك البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت، 1420 هـ، انظر جـ3صـ 454

[32] – في ظلال القرآن : انظر جـ1صـ 539

[33] – التحرير والتنوير: جـ4صـ189

عمران(153) وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾آل عمران(166)، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ فَقَالَ: ﴿وَما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل عمران(166) وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لِإِخْوانِهِمْ﴾آل عمران(156)الْآيَةَ. أما قَتْلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ حَزِنُوا لفراقهم فهُمْ أَحْيَاءٌ، وَأَما الْمُؤْمِنون الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ فإن الله لَن يُضَيِّعُ أَجرَهُمْ، ثم إنَّ سَلَامَةَ الْكُفَّارِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُحْزِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَنْ تَسُرَّ الْكَافِرِينَ، وَأَبْطَلَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مَقَالَ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ﴾آل عمران(154) وَبِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ آل عمران(168)إِلَى قَوْله: ﴿قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾آل عمران(168)، ثم جمع بين الْغَرَضَيْنِ فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾؛ لِأَنَّ الْمُصِيبَةَ وَالْحُزْنَ إِنَّمَا نَشَآ عَلَى مَوْتِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ[34]، وأشار القرطبي إلى ارتباط الآية بقول الباخلين﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ﴾؛ حيث أَمَرَ الله الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾آل عمران(186) ثم بَيَّنَ زوال ذلك فأمر الدُّنْيَا قَرِيبٌ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمُ الْجَزَاءِ[35].

- التعبير عن النجاة من النار بالفوز يظلل أعمال العباد في الدنيا بظلال السباق والتنافس وهو ما يستحث النفس على الفوز بنعيم الجنان، والعبور من قنطرة الدنيا إلى الفوز بجنة الرحمن وصحبة خير الأنام

-﴿وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ﴾وسميت الدنيا لدنوها ،وقيل لقربها من الآخرة، والغرور لأنها "تَغُرُّ الْمُؤْمِنَ وَتَخْدَعُهُ فَيَظُنُّ طُولَ الْبَقَاءِ وَهِيَ فَانِيَةٌ. وَالْمَتَاعُ مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ وَيُنْتَفَعُ، كَالْفَأْسِ وَالْقِدْرِ وَالْقَصْعَةِ ثُمَّ يَزُولُ وَلَا يَبْقَى مِلْكُهُ"[36]، ثم إنها متعة بما يوحي بقصر مدتها وزوال متعها وإن طالت، كما أن استخدام أسلوب القصر فيه ما فيه من التحذير من الدنيا؛ حيث يشير إلى حصر الدنيا في المتعة والاغترار بها.

وهكذا تضافرت عناصر البناء الأسلوبي في الآية في الترسيخ لمفهوم توفية الجزاء لتثبيت المؤمنين على التوحيد الذي هو مقصود السورة وعمودها.

**نموذج آخر**

---

[34] – التحرير والتنوير : انظرجـ4صـ 187

[35] – الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 ،1384هـ – 1964 م ، انظر جـ4صـ 297.

[36] – الجامع لأحكام القرآن : انظر جـ4صـ 302، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: انظرجـ1صـ 550

وننتقل لنموذج آخر من سورتي الأنبياء والمؤمنون:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾الأنبياء(92)

ويقول: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾المؤمنون(52)

والآيتان اتفقتا في أمور منها:

1-التأكيد على وحدة الدين من خلال (إن).

2-الإشارة(هذه) لاستحضار صورة العقيدة ماثلة في الأذهان صافية نقية من كدر الشرك.

3-تأكيد وحدة الأمة من خلال أهم وصف لها(واحدة) .

4-الخطاب الصريح الذي لا يستحضر المخاطبين في المشهد وهم جميع البشرية، وتعبير الله عز وجل عن ذاته بصيغة المتكلم(أنا) ليكون حوارًا مباشرًا يستحضر الهيبة في النفوس من خلال حضور ذاته سبحانه بصيغة المتكلم .

5-التأكيد على ربوبية الله جل وعلا التي جعلت طريقا للعبادة في الأنبياء، وسبيلًا للتقوى في (المؤمنون) فقال في الأولى (فاعبدون) ، وفي الثانية (فاتقون).

وتتمثل الفروق بين الآيتين في أمرين :

الأول: ذكر الواو في سورة( المؤمنون) دون الأنبياء .

والثاني: فاصلة الآية في الأنبياء(فاعبدون)، وفي المؤمنون (فاتقون) .

سبقت الإشارة إلى أن عمود سورة الأنبياء هو التأكيد على وقوع الحساب، وهذا المعنى يستلزم ممن تيقنه تحقيق العبادة بصورها المختلفة، والتقوى وإن كانت عبادة إلا أنها عبادة قلبية فناسب التأكيد على وقوع الحساب ذكر الصورة الأعم للعبادة لأن الرغبة في الجزاء أو الرهبة من العقاب دافعان قويان للعمل هذا من جهة اتصال قوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾بعمود السورة، ثم إن السورة حفلت بمادة (عبد) للغرض ذاته فقال:

-﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19)﴾

-﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) ﴾

-﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) ﴾

-﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) ﴾

-﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ(66) ﴾

-﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(67) ﴾

-﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73) ﴾

-﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)﴾

-﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) ﴾
-﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) ﴾
-﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106) ﴾
في حين أن سورة (المؤمنون) لم ترد فيها مادة (عبد) إلا في أربعة مواطن هي الآيات(23، 32 ، 47، 109 ) .

كما أن سورة الأنبياء تطرقت لموضوعات تخص العبادة فذكرت عبادة الملائكة وعبادة من في السماوات والأرض لله رب العالمين، وتحدثت عن عبادة غير الله، وأقوال من ادعى لله الولد أو ادعى الألوهية لغير الله، وبينت أن وظيفة الرسل الدعوة لعبادة الله وحده ، ثم ذكرت بعض آيات الله الكونية للتفكر فيها وتوحيد الخالق –عز وجل-وهي صورة من أجل صور العبادة، وبينت صفات الآلهة المزعومة التي لا تمنع عابديها من الله، ولا تملك لهم ضرًا ولا نفعًا، ثم أشارت إلى وضع الموازين للحساب على ما قام به العباد، وذكرت قصة عبادة غير الله في قصة نبي الله إبراهيم–عليه السلام-، كما أن دعوات الأنبياء-عليهم السلام- صورة من صور العبادة(نوح، أيوب، يونس، زكريا)، وكذا حكم داوود وسليمان صورة من صور العبادة، ثم إن الله في قصة السيدة مريم وولادة السيد المسيح–عليه السلام-من غير أب آية، والإيمان بذلك عبادة، ثم ختم قصص الأنبياء التي تجلت فيها العبادة من بداية دعوتهم ومرورًا بحياتهم فقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾الأنبياء(92) مبينًا الشراكة بين جميع دعوات الأنبياء في الأصول وداعيًا لعبادة الله وحده، وهذه العبادات بصورها المختلفة لن تتأتى إلا من نفس تيقنت أنها ستحاسب على فعلها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر...، ومن هنا ارتبط مفهوم العبادة بالحساب.

ومن ثم تشاكل ذكر العبادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء(92) مع عمود السورة، ومع السياق السابق واللاحق، كما تشاكل مع موضوعات السورة.
ويشير البعض إلى أن الخطاب في(الأنبياء) لسائر الخلق أو للكفار ومن ثم أمرهم بالعبادة في حين أن الخطاب في (المؤمنون) للرسل فناسب الأمر بالتقوى[37]، وإذا كانت العبادة هي الوسيلة والتقوى هي الغاية فسواء كان الخطاب في سورة(المؤمنون) للرسل أو لجميع المؤمنين فالغاية واحدة وهي المقصود من سلوك سبيل العبادة .

[37] –كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة، تحقيق د.عبد الجواد خلف، سلسلة منشورات الجامعة الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط1410،1هـ–1990م، انظر صـ258، والبرهان في متشابه القرآن: انظر صـ243 .

أما في سورة (المؤمنون) فإننا نتوقف بداية عند المحاور الرئيسة لها لاستخلاص البنية الكبرى وهي على النحو التالي :

1- في الآيات من (1-22) بيان لصفات المؤمنين يليها إشارة إلى بعض الآيات الكونية التي تدعو للإيمان، فقد بين الله-عز وجل- صفات المؤمنين المفلحين من حيث العبادات(صلاة وزكاة)، والأخلاق (رعاية الأمانة والعهد والإعراض عن اللغو)، واجتناب المنهيات(الممثلة في اجتنابهم للفاحشة، وكان الختام ببيان منزلتهم في الجنة، ثم بين نعم الله على عموم البشر بداية من مراحل خلق الإنسان إلى موته، ثم خلق السماوات السبع وإنزال الماء وإنبات الزرع، وذكر العبرة في خلق الإنسان ليستدل البشر على المخلوقات بالخالق فيتبعوا سبيل المؤمنين المفلحين المذكورين في فاتحة السورة .

2- الآيات من (23-51) بيان أن الإيمان سبيل النجاة، وذلك من خلال ذكر قصص بعض الأنبياء(نوح وثمود وموسى) ودعوتهم قومهم لعبادة الله وحده، وذكر ما وقع لهم من ابتلاء وكيف نجاهم الله، ثم ختام الآيات بأمر الرسل بأكل الطيب وعمل الصالح.

3-الآيات من (52-118) ذكر اختلاف الأمة وتمزقها، ثم حديث عن النقيضين؛ عن الخاشين لله وصفاتهم، وبيان أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها وأن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، ثم ذكر غفلة المشركين عن ذلك وبيان موقفهم من الرسول-صلى الله عليه وسلم- والقرآن، ووعيد الله لهم ومناقشتهم، والختام بمشهد الحساب وهلاك الكافرين الذي يدل على علو الله -عز وجل- على العالمين، وأن من يدع مع الله إلهًا آخر حسابه عند ربه.

وقد رأى الفراهي أن عمود السورة هو "فلاح المؤمنين وهلاك المكذبين" [38]، ورأى البستاني أن الفكرة الرئيسة هي إعراض الناس عن قيام الساعة ومحاسبتهم على سلوكهم [39]، وهي أمور جلية لدارس النص إلا أن دراسة السورة تبين أن المحاور الرئيسة لها اجتمعت بصورة أو بأخرى حول إثبات صفة العلو لله -عز وجل-، فقد اختار سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين تلك الصفات التي تدل على خضوعهم التام لله إيمانًا بعلوه وهي: الخضوع لله في العبادة البدنية(الصلاة)، والخضوع لله في العبادة المالية (الزكاة)، والخضوع لله في قضاء الشهوة، والخضوع لله في معاملة العباد(رعاية الأمانة والعهد)، والخضوع لله في مجانبة المحظورات (الإعراض عن اللغو).

---

38 – دلائل النظام : صـ96.

39 – التفسير البنائي للقرآن الكريم : د. محمود البستاني ، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ، مشهد ، إيران، ط1،انظر جـ3صـ157

ثم إن الله ذكَّر خلقه بجميل نعمه عليهم، وكيف خلقهم ويسر لهم سبل حياتهم ؛ ليكون ذلك تذكيرًا لهم بقدرته واستعلائه عليهم بما يكفل لهم قوام حياتهم .

ثم كانت قصص الأنبياء في المحور الثاني توثيقًا لعرى تلك الدلالة ففي قصة نبي الله نوح-عليه السلام- بين أن قومه رفضوا الإذعان لنبيهم مدعين أنه يريد أن يتفضل عليهم فكان تعاليهم على الداعية سببًا في رفض دعوته، فجاء ختام قصة نوح -عليه السلام- باستوائه على السفينة ونجاته مستعليا على الغارقين، وفي قصة صالح -عليه السلام- رفض قومه دعوته للسبب ذاته فرأوا أنه بشر مثلهم لا مزية له عليهم، ومن ثم كان مشهد الهلاك بصيحة عجزوا عن تحملها لبيان مدى ضعفهم وعجزهم، وكلا المشهدين يبينان صفة الاستعلاء التي حجبت المدعوين عن قبول دعوة الأنبياء فكان الجزاء ببيان استعلاء الله على خلقه بنجاة من أطاع وهلاك من عصى، ثم إن الله –عز وجل-أشار صراحة في قصة فرعون وقومه إلى أن سبب هلاكهم منازعة الله تلك الصفة:﴿كانوا قومًا عالين(46)...فكانوا من المهلكين(48)﴾

وفي المحور الأخير تصريح بتلك الدلالة من خلال تلك الحجة التي دحض الله بها مزاعم من نسبوا له الولد؛ حيث حاجج الله–عز وجل- المشركين بأن تعدد الآلهة سيفضي إلى النزاع بينها ، وذهاب كل إله منهم بما خلقه، وعلو بعضها على بعض، ومن ثم يجب أن يكون هناك إله واحد متعال عما يشركون قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ(91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(92)﴾المؤمنون، وأخيرًا ذلك الختام الصريح للسورة بقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون(116)، بل إنه لما قارن بين الناجين والهالكين ذكر من صفات المؤمنين(الخشية والإيمان وعدم الشرك، ووجل القلب من الحساب، والمسارعة في الخير) وكلها صفات تدل على تواضعهم، وصرح بصفة الاستكبار في وصف الكافرين (مستكبرين به)، ومن ثم كان جدال الكافرين في تعدد الآلهة مضمنًا فكرة الاستعلاء وتنازع السيادة، والإله الحق منزه عن ذلك، فطبيعة الصورة التي جادل بها القرآن المشركين متوافقة مع طبيعة سلوكهم أيضًا، ومن ثم فإن في السورة آيتين محوريتين هما قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) ... فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) ﴾.

تلك هي أهم محاور السورة ، وقد أشارت بطريقة أو بأخرى إلى علو الله، ومن ثم فإن قوله تعالى في متشابه النظم: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ المؤمنون (52) ركز فيها على صفة التقوى وهو معنى قلبي متصل بإدراك علو الله-عز وجل-، وأنه مطلع على الخلق ومن هنا اتصل بعمود السورة .

ومن ثم ركزت السورة على تقوى الله في مواطن ثلاثة لأنها وثيقة الصلة بعمود السورة وهي:

قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ(23)﴾

وقوله : ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32) ﴾

وقوله : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) ﴾ .

ثم إن الآية السابقة عليها دعوة للرسل لأكل الطيب وعمل الصالح ، وفيها دعوة للمؤمنين للتأسي بهم أيضًا، وتلك الأمور من خفايا العباد التي لا يطلع عليها إلا الله -عز وجل- لأنها مرتبطة بتقوى العبد لربه فناسب الأداء الفعلي للرسل في تقوى الله دعوة الله للمؤمنين بالتقوى في الآية التالية لها فقال: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ(52) ﴾، وبهذا ينسجم ذكر التقوى في الآية مع السياق السابق ومع عمود السورة .

أما بالنسبة للتباين في وجود الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ(52)﴾ فإن واو الاستئناف هنا أبرزت وحدة الشرائع فالجملة "مسوقة للتنبيه على أمر هذه الأمة وكمال سدادها"[40]، فيكون المراد تعظيم شأن الوحدة بين جميع الأديان في الأصول من خلال ذلك الاستئناف، وبهذا يتبين عظم الفرقة الذي ستتحدث عنه الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(53)﴾، لأنها مخالفة لنهج الأنبياء، ثم إن هذا الظهور لتلك الجملة القرآنية من خلال الواو يرجع لارتباطها بالمعنى الأم في النص وهو التقوى تلك التي نجت نوحًا ومن آمن معه وصالحًا ومن اتبعه، فالتقوى هي أن تجعل بينك وبين معصية الله وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي عن خوف من الله ورغبة فيما عنده، وخشية له سبحانه، وتعظيم لحرماته، ومحبة صادقة له سبحانه ولرسوله . ومن ثم فهي شديدة الصلة بإدراك صفة العلو لله -عز وجل- ، في حين أن آية الأنبياء لم تقع ذلك الموقع ، ولكنها جاءت تعقيبًا على قصص الأنبياء، وبيانًا أن سنة الله في الخلق هي نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين .

40 – إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ( دمشق –بيروت)، دار ابن كثير( دمشق–بيروت)، دار الإرشاد للشؤون الإسلامية ( حمص –سورية)، ط3 ، 1412هـ–1992م، جـ6صـ521 .

## المبحث الثاني

## تشابه المشاهد القرآنية

سبقت الإشارة إلى أن ثمة تشابهًا قد يقع بين المشاهد القرآنية فنجد بينها آيات مكررة وأخرى متشابهة وثالثة متباينة، ومن ثم فإن الدراسة ستعنى بدارسة الصور الثلاثة في المشهد القرآني لأنها جميعًا تمثل صورة واحدة متآزرة تشكل ذلك المشهد، وقد تخيرت مثالًا يوضح ذلك من قصة خلق آدم –عليه السلام-وأمر الله-عز وجل-إبليس بالسجود له في سورتي "ص" و"الحجر"، وقد وردت على النحو التالي :

قال تعالى في الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ(44) ﴾.

وقال في(ص): ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ(75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ(85)﴾

نلاحظ في المشهدين السابقين ثلاثة أنماط من الآيات :

**أ-آيات مكررة وهي سبع آيات :**

-قوله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

-قوله تعالى : ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

-قوله تعالى : ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ .

-قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

-قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

-قوله تعالى : ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

-قوله تعالى : ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

**ب-آيات متباينة أو ليس لكل منها نظير في المشهد المقابل والمماثلة في**

-فاتحة المشهد في سورة الحجر بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(27)﴾ وخلو سورة(ص)من تلك الآيات .

-ختام المشهدين، فقال في الحجر: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ(44) ﴾ .

وقال في (ص): ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ(85) ﴾ .

-قوله تعالى في الحجر﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(33)﴾

وقال في ص: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74)قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(76)﴾

**ج - آيات متشابهة وهي على النحو التالي :**

-قوله تعالى في الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28) ، وقوله في (ص ): ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) ﴾

-قوله تعالى في الحجر: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾، وقوله في ص: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾

- قوله في الحجر ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) ﴾ وقوله في ص ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)﴾

وقبل أن نتطرق لتفسير أسباب التباين والتشابه في السورتين نتوقف عند البنية الكبرى لكلتيهما، ومن الإنصاف الإشارة إلى أن الدكتور فاضل السامرائي لمح هذا الفارق إلا أنه لم يوظفه في قضية المتشابهات فقال بما قال به أوائل المفسرين ؛ حيث رأى أن جو السورة في الحجر عمومًا هو الامتناع والرفض، وجو السورة في (ص) هو الاستكبار والعلو[41]، وقد ألمح الدكتور محمد أبو موسى إلى ما تضمنته فوتح سورة (ص) من الآية (8-1) من العناد والمكابرة ثم أشار إلى أن هذا هو جذر المعنى أو المعنى الأم فيها [42]، وقد أكد على مراده من خلال إشارة الزمخشري إلى أن معنى(ص) لمن قرأها بالكسر "هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة. ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة"[43]، فإذا ما أضفنا لذلك أن السورتين مكيتان، وأنهما في حجاج الكافرين، وأن سبب نزول الثانية منهما ما روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَتْ قُرَيْشٌ وَجَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعِنْدَ رَأْسِ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ، فَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: "يَا عَمِّ إِنَّمَا أُرِيدَ مِنْهُمْ كَلِمَةً تَذِلُّ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ بِهَا الْعَجَمُ"، قَالَ: وَمَا الْكَلِمَةُ؟ قَالَ: "كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ"، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَقَالُوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[44]، وسبب النزول يؤكد معنى الاستكبار والإباء أيضًا، ومن ثم يمكننا القول إن البنية الكبرى في السورتين هي حجاج الكافرين إلا أن الكافرين في سورة الحجر أبوا الإيمان والإذعان للرسول–صلى الله عليه وسلم-وألهتهم الدنيا بزينتها عن الإيمان، بل إنهم ودوا لو أسلموا كما أشار القرآن﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ(2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(3)﴾الحجر، وكل ما قالوه عن النبي –صلى الله عليه وسلم-أنه مجنون

41 – التعبير القرآني:د . فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، ط6، 1430هـ، 2009 م،انظر صـ312

42–الزمر – محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، 2012 م، انظر صـ7، 13 .

43 – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ، وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان الرياض، ط1، 1418 هـ ، 1998م، جـ5صـ240 .

44 – أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 1، 1411هـ ، 1991 م ، انظر صـ381 .

وطالبوا بإنزال الملائكة، ومن ثم فإن طريقة الحجاج[45] اعتمدت بداية على الرد على دعواهم، وبيان أن قولهم هو دأب السابقين عليهم، وأنه مهما تأتهم من آية فسيقولون سكِّرت أبصارنا، ثم ذكر الله-عز وجل- لهم عددًا من الآيات الكونية تدعو للإيمان، وقد ذكر الله -عز وجل- من قصة إبليس ما يتناسب مع نفسية المشركين المحكي عنهم في السورة فذكر خلق الإنسان وأمر إبليس بالسجود له، ثم ذكر أن إبليس أبى السجود وحسب ولم يذكر أنه استكبر ، ثم إن المشهد القرآني في الحجر لم يسلط الضوء على خلق الله- عز وجل- لآدم بيده أو ما شاكل وهو ما يدعم أن السياق في حجاج مشرك رافض للدين ممتنع عن قبوله إلا أنه لم يستكبر عليه، ومن ثم فإن القرآن استخدم معهم سلاح الترغيب والترهيب، فذكر أن الله يجمع بين المغفرة والعذاب الأليم، ودلل على ذلك من قصص الأنبياء من قصة إبراهيم-عليه السلام- وتبشيره بالولد، وفيها ترغيب، ومن قصص الترهيب ذكر قصة لوط -عليه السلام-وهلاك قومه وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر مؤكدًا أن الساعة آتية ولا محالة من الحساب، ثم إن السورة ختمت بتثبيت النبي- صلى الله عليه وسلم- وأمره بالصدع بالدعوة...، هكذا سار خط السورة في دعوة المشركين في الحجر لهؤلاء الذين لم يظهروا استكبارًا ، وإنما مثلوا نموذجًا للرافضين لأي دعوة في مهدها كما هو شأن عموم البشر.

وقد اختلفت طريقة الحجاج في سورة (ص) ، وذلك أنها حاججت قومًا استكبروا وتكبروا وعتوا فهم في عزة وشقاق، وهو ما أكده السياق وسبب النزول؛ حيث تعالوا على الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأنكروا أن يصطفيه الله من بينهم بالرسالة، بل تعجبوا من أن يأتيهم منذر منهم، وادعوا أنه ساحر كذاب لأنه جعل الآلهة إلهًا واحدًا، ثم مبالغة منهم في الاستكبار مشوا بين الناس يدعونهم للتمسك بآلهتهم، قال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ(1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ(2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ(3) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ(4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ(5) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ(6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾، وهكذا فإن القرآن أثبت في أقوالهم وأفعالهم أنهم طبقة مغايرة من المشركين غير هؤلاء الذين في الحجر، ومن ثم فإن طريقة

45 – حيث ذكر الدكتور واسيني عددًا من وسائل الحجاج في الخطاب القرآني، وقد لاحظنا بعضًا منها في السورتين وأشارت إليها الدراسة ومنها : الحجاج بالحوار والحجاج بالنقيض والحجاج بالعقل والحجاج بالكون والدلائل الكونية ، بحث وسائل الخطاب القرآني في الحجاج وخصائصه : د. بن عبد الله واسيني ضمن مجلة مختبر اللغة والتواصل ، والعدد بعنوان مباحث الحجاج بين التنظير والإجراء بحوث علمية محكمة في الحجاج ، منشورات مختبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان– الجزائر ، أعمال الملتقى الدولي 14–15 أفريل 2015 م : انظر صـ145 وما يليها .

حجاجهم اشتملت على نوع من السخرية تبين ضعف عقولهم عن الإدراك وأنهم في شك وريب ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ(8) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ(9) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ(10)﴾ ثم بين القرآن عقاب المكذبين من قبلهم، وكيف حاق بهم العذاب، وقد دعا القرآن النبي-صلي الله عليه وسلم- للثبات والصبر على الدعوة وتذكر ما نزل بالنبيين من قبله من فتن وابتلاءات زلزل بها الأنبياء من قبله (داوود وسليمان وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذو الكفل)، ثم ذكر مقابلة بين ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين وتخاصم أهل النار في النار، وقد أكد القرآن أن الرسول-صلي الله عليه وسلم- منذر لا يعلم من اختصام الملأ الأعلى في خلق آدم إلا ما يوحى إليه، وختم بقصة إبليس، وبيان رفضه السجود لآدم استكبارًا وليس إباءً ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ(75)﴾، ومن ثم قال تعالى (بيدي) فنسبة الصنعة لله- عز وجل- تشريفًا لها لبيان أن المخالفة هنا مخالفة للصانع، وليس تكبرًا وحسب على الصنعة، وقد أكد إبليس كبره حين قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ص(76)، وقد كشفت البنية الأسلوبية لحديث إبليس عن نفسية المتكبر ، وسيرد تفصيل ذلك لاحقًا، وهكذا فإن قصة إبليس ما هي إلا تعريض بحال المشركين الذين رأوا في أنفسهم الخيرية عمن اصطفاه الله فذكر الله قصة إبليس ليبين لهم مآل من يستكبر، وقد رأي الدكتور محمد أبو موسى أن ختم (ص) بقصة آدم ورفض إبليس السجود له إنما هو من رد الأعجاز على الصدور لأمرين : الأول : أنها تأكيد أن النبي -صلي الله عليه وسلم- يوحى إليه، والثاني: أن الله يثبت نبيه ويدعوه للتأسي بخالقه -عز وجل- فإذا كان المشركون رفضوا الإيمان بدعوة النبي-صلي الله عليه وسلم- واستهزءوا به فقد أبى إبليس الخضوع لخالقه واستكبر عليه، وحاججه بشرف النار على الطين[46]، ولما طلب من ربه أن ينظره مع أنه يتوعد عباده استجاب لطلبه، وكأن الله-عز وجل-يدعو نبيه للتأسى به في معاملته مع المشركين[47]، وهناك مواضع متعددة في السورة تغمز المشركين باستكبارهم منها قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ(55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ(56)﴾، وتشير المعاجم إلى أن "الطاغية: الأَحْمَقُ المُسْتَكْبِرُ الظالِمُ." [48]، ومنها قوله :﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى

46 – وقد فند ابن قيم الجوزية تلك الدعوى مبينًا فضل الطين على النار من وجوه عدة راجع بدائع الفوائد: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، اعتنى به : صابر بن فتحي بن إبراهيم، وفارس بن فتحي بن إبراهيم، دار الهيثم، القاهرة،ط1، 2007م ،انظر مج2جـ2صـ400 وما يليها .

47 – الزمر – محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان : انظر صـ23 وما يليها .

48 – لسان العرب : مادة طغي

بَعْض... (22)﴾ "وبَغَى عَلَيْهِ يَبْغِي بَغْيًا: عَلَا عَلَيْهِ وَظَلَمَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ " [49] والعلو سمة المستكبر.

وقد ألمح الدكتور فاضل السامرائي- أيضًا -إلى شيوع جو الخصومة في النص في غير موضع، وذلك في قصة داوود وسليمان والخصمين ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ(21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ﴾ ، وفي قصة الخصومة بين نبي الله أيوب –عليه السلام- مع زوجته وقسمه على ضربها مائة جلدة فقال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ.... (44)﴾

وفي قصة تخاصم أهل النار في النار﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ(59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ(60)... إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ(64)﴾.

ثم خصومة الملأ الأعلى في أمر آدم ؛ حيث ارتبطت بمشهد إبليس ومهدت له ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) ﴾ [50]

ومن ثم فإن هذه الخصومات المتكررة شحنت السورة بما يناسب طبيعة المخاطب الذي ألف الاستكبار والخصومة .

ونتعرض الآن لتفسير الآيات المكررة والمتباينة والمتشابهة في ضوء تلك البنية الكبرى للنصين، وذلك على النحو التالي :

**أولًا : الآيات المكررة**

وهي سبع آيات وقد سبق ذكرها ، ولنا عليها ملاحظات:

1-أنها تتصل جميعًا بالمفهوم الرئيسي للقصة(تسوية آدم ونفخ الروح فيه، وسجود الملائكة أجمعين له، وطرد إبليس من الجنة، وطلب إبليس الإنظار إلى يوم يبعثون واستجابة الله –عز وجل- لطلبه، ونجاة المؤمنين من كيد الشيطان)، وهذه المعاني لا تتباين بحسب البنية الكبرى للمشهدين لأنها أصول ثابتة في كليهما، وقد ذكر الكرماني أن سبب تكرار قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ "لأنه لما بالغ في السورتين بالأمر بالسجود وهو قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ

---

[49] – السابق: مادة بغا .

[50] – لقد أشار الدكتور فاضل السامرائي في كتابه التعبير القرآني إلى ظاهرة الخصومة ، تلك التي ميزت مشهد قصة آدم في( ص) عنه في الأعراف : انظر صـ304 .

سَاجِدِينَ﴾ في السورتين بالغ في الامتثال فيها فقال: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ لتقع التوقيفة بين أولاها وأخراها"[51] .

2 -أن المواضع التي هي جذر المعنى هي التي تباينت بين السورتين لتُحمَّل بدلالات مختلفة في كل موضع كما سيتجلى عند دراسة مواضع التشابه والتباين.

3 - أن الآيات التي تكررت بين النصين ناقشت مسائل تتعلق بحجاج الكافرين عمومًا وهي على النحو التالي :

-التأكيد أن من هم أعظم منزلة من البشر والجن خضعوا لله -عز وجل- وأعني بذلك الملائكة ؛ حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾

-بيان أن جزاء من لم يخضع لأمر الله أبيًا كان أم مستكبرًا هو الطرد من رحمة الله لا تمايز بينهما في الخاتمة ، فقد طرد إبليس من رحمته فقال : ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾، وسيتجلى من الدراسة أن إبليس مثَّل في السورتين نموذج الكفار الذين اختصت السورة بحجاجهم ، ففي (ص) مثَّل صورة الكافر المعاند المستكبر ، وفي الحجر مثَّل صورة الكافر الأبي الرافض .

- بيان رحمة الله –عز وجل-وحلمه مع العصاة، وفيه تهديد وترغيب لهم، فقد أجاب الله طلب إبليس لما طلب الإمهال فقال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾

-بيان أنه ليس للعصاة سلطان على المؤمنين المخلصين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ، وفيه تعريض بدحر المشركين بأصنافهم.

وبهذا أسهم تكرار تلك الآيات في التأكيد على أصول تلك المعاني في المشهدين والربط بين السورتين .

**ثانيًا : الآيات المتباينة**

أ- لقد استهل المشهد القصصي في الحجر بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(27)﴾ في حين أننا لا نجد نظيرًا لذلك في سورة(ص)، وهذا التمهيد ببيان مادة الخلق للإنس والجن يتوافق مع طبيعة المخاطب الأبي الرافض؛ لأن التوطئة للمعنى والتدرج في الوصول للغرض يهيئان نفس السامع ويجعلان المعاني أكثر قبولًا في النفس أما الهجوم على المعنى فيؤدي لنفور المستمع، وقد أشار نقادنا القدامى

[51] –البرهان في متشابه القرآن : صـ214 وما يليها.

لذلك[52]، ثم إن ذلك الاستهلال ينبه النفس ويوقظ الحس للتلقي، ومن ثم فإن ذلك التمهيد مناسب لحجاج القرآن للرافضين للدعوة بحجة اتباع دين الآباء أو أن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ساحر أو ما شاكل، في حين أن سورة(ص) نهجت نهجًا مغايرًا ؛ حيث استهل المشهد بالقصة مباشرة دون تمهيد أو توطئة؛ وذلك بخطاب الله-عز وجل- للملائكة مباشرة، ويرجع ذلك لطبيعة المخاطب المعاند المستكبر الذي لا يرعوي عن باطله حتى حين يرى الحق جليًّا فإنه ينصرف عنه استكبارًا، ومن ثم فإن عنصر المفاجأة والصدام والهجوم على الغرض هو الأليق بخطابه لأنه متحفز متوقد للجدال .

ب-من نماذج الآيات المتباينة تلك التي قصت موقف إبليس من السجود لآدم والطريقة التي سأله بها المولى -عز وجل- عن سبب رفضه السجود ثم جوابه ، ففي الحجر قال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) ﴾

وفي (ص) قال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(76) ﴾

حيث ركز الخطاب القرآني في سورة الحجر على تفسير موقف إبليس بعدم السجود بأنه إباء وامتناع وحسب، فقال : ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ، ومن ثم كان سؤال المولى -عز وجل- له يسفر عن ذلك المعنى ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(32)﴾ وتوظيف اسم الفاعل يدل على الثبوت في المضي أي أنه رفض أن يكون في زمرة من سجدوا، واستمر في إبائه ورفضه؛ لأن اسم الفاعل كما يرى النحاة يوحي بالحدث والحدوث وفاعله[53]، ثم توظيف (مع) التي تفيد المصاحبة في السؤال والجواب وتؤكد على رفضه الانخراط في زمرة الطائعين من الملائكة للأمر الرباني، ذلك أن رفضه للسجود كان يقينًا منه بما في السجود من خضوع لذلك المخلوق الذي رأى لنفسه الخيرية عليه إلا أنه لم يصرح بذلك وقال: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(33)﴾، فهو أضمر استعلاءه فلم يظهر مادة خلق الجن كما في (ص) ، ولكنه

---

52 –منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3، 1986 م ، انظر صـ318 وما يليها ، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، 1432هـ-2011م، انظرصـ394 .

53 –معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 1428هـ-2007م، انظر صـ41

أظهر ما رآه عيبًا في خلقة آدم، وهي أن مادة خلقه الصلصال؛ حيث رأى أن ذلك ضعف في آدم وعيب قادح فيه، وهذا الإباء يذكرنا بنفسية المخاطبين الذين حكى الله –عز وجل- عنهم في السورة فقال: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ(15)﴾، بل إن تكرار(مع الساجدين)إشارة إلى مخالفة إبليس للبيئة حوله وكأنه أراد بذلك التميز عن سائر المخلوقات التي سجدت لآدم، وفيه إشارة إلى نفسية الكفار الذين رفضوا الانصياع للنبي-صلى الله عليه وسلم- لأن من آمن به هم الضعفاء، ولعل مما يؤيد ذلك أمر الله لنبيه بخفض الجناح للمؤمنين فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88)﴾، والإشارة إلى نزع الغل من صدور المؤمنين في الجنة﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ(47)﴾، كما أن التعبير عن الملائكة بوصفهم بالساجدين إشارة إلى خضوعهم لله وتعريض بالمشرك الأبي الرافض للانخراط في زمرة الطائعين لله من مخلوقات الكون حوله.

في حين أن الوضع في سورة (ص) مختلف من جهات عدة :

1-لقد ركز المشهد على استكبار إبليس فقال:(استكبر، ما منعك، أستكبرت، العالين ، أنا خير منه)، ثم إن البنية الأسلوبية لرد إبليس على سؤال الله -عز وجل- له تؤكد ذلك، فقد ذكر ضمير المتكلم(أنا) وأضفى على نفسه الخيرية، ثم ذكر المفضول عليه لتأكيد خيريته عليه(منه)، وقدم خلقه على خلق آدم، وذكر مادة خلقهما ليدلل على صدق رؤيته في خيريته على آدم، وكلها مؤشرات يتجلى منها إظهار الاستكبار على الخالق- عز وجل-.

2-أن قوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ يبين أن خيرية آدم ليست لذاته، وأن الاستكبار عن السجود له استكبار على الصانع وليس على الصنعة، وقد تجلى ذلك المعنى في البنية الأسلوبية في موطنين :

الأول : ممثل في استخدام(ما) مع ما يعقل، يقول ابن قيم الجوزيه: " وأما قوله تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ فهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيت للعين على امتناعه من السجود، ولم يستحق هذا التبكيت والتوبيخ؛ حيث كان السجود لمن يعقل، ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه إذ لا ينبغي التكبر لمخلوق على مثله، إنما التكبر للخالق وحده فكأنه يقول سبحانه: لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلقه وخلقته أنا ، وشرفته وأمرتك بالسجود له، فهذا موضع(ما) لأن معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو في الحجة أوقع ، وللعذر والشبهة أقطع ، فلو قال: ما منعك أن تسجد لمن خلقت لكان استفهامًا مجردًا من توبيخ وتبكيت ولتوهم أنه وجب السجود له من حيث كان يعقل، ولعله موجود في ذاته وعينه وليس المراد كذلك؛ وإنما المراد توبيخه وتبكيته على ترك سجوده لما خلق الله، وأمره بالسجود له، ولهذا عدل عن اسم آدم

العلم مع كونه أخص، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشريف المقتضية لسجوده له كونه خلقه بيديه " [54]

والثاني : يتمثل فيما أشار إليه ابن القيم-أيضًا- من إضافة الفعل لليد في النص ، وذلك أن الفعل إذا أضيف لليد كما هو في قوله تعالى: ﴿خلقت بيدي﴾ وعدي بالباء إلى اليد مفردة أو مثناة فهو مما باشرته اليد، أي أن الأمر هنا ليس من قبيل المجاز للذين يؤولون صفات الله –عز وجل-عن معناها ففي هذا رد عليهم لأن اليد لو كانت بمعنى القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على مخلوقات الله [55] .

3- إن استخدام الفعل المضارع (تسجد) يشير إلى أن الأمر ما زال مستمرًا ومسموحًا به لإبليس ليخرج من ذلك العصيان إلا أنه أصر على استكباره .

4- فاصلة الآية بالتأكيد على أن إبليس من الكافرين جزاء استكباره على طاعة أوامر خالقه ، وهو ما يسفر عن نفسية المخاطبين في السورة الذين تكبروا على التوحيد وتعجبوا من جعل الالهة إلهًا واحدًا، ثم اعترضوا على إرسال النبي-صلى الله عليه وسلم- تحديدًا وحقروا من شأنه، وهو إسقاط يجلي طبيعة البنية النفسية لكليهما– أعني المشركين الذين تتحدث عنهم السورة وإبليس- وطبيعة المصير المنتظر له ولهم الذي سيجليه النص في خاتمة السورة .

ج- ختام المشهدين؛ حيث قال في الحجر: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ(41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ(44)﴾

وقال في(ص): ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ(85)﴾

ونلاحظ على المشهدين ما يلي:

-أنه بين الطريق المستقيم في سورة الحجر مؤكدًا أنه ليس للشيطان سبيل على ذرية آدم إلا من تبعه، وبيان الطريق المستقيم مناسب لخطاب الأبي الرافض له وليس للمستكبر عليه، ونلاحظ اسم الإشارة للقريب(هذا) الذي يستحضر صورة الصراط أمام المتلقي، ثم قوله (عليَّ) أي على

54 – بدائع الفوائد : مج1ج1ص134

55 – الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزيه، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض، انظر ج1ص270، وقد ذكره الندوي أيضًا في التفسير القيم : الإمام ابن القيم ، جمعه : محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الفكر،بيروت ، لبنان ، 1408هـ–1988 م، انظرص422 .

إرَادَتِي وأمري[56] ، وهو ما يحمل تنبيهًا على ما سيأتي بعده؛ لأنه من إرادة الرب سبحانه، وقوله صراط مستقيم له دلالة فالصراط "تدل على الطريق المسلوكة التي تفضي بسالكها إلى حيث يختار لنفسه من مذاهب، ولكن الطريق قد تكون معوجة ملتوية كثيرة المنعطفات فيتيه السالك في متاهاتها، وتلتبس عليه أوجه الاستهداء في سلوكها فجاء بكلمة (مستقيم)، والمستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، وأقل انحراف يخرجه عن سنن الاستقامة"[57]

-تجلية المفارقة بين مكانة المؤمنين والكافرين ليناسب الخطاب عقول الرافضين للدين، فبين أن ليس للشيطان سلطان على المؤمنين، فكما أن الشيطان رفض من قبل أن يكون لآدم –عليه السلام-فضل عليه، فكذلك لن يكون للشيطان سلطان على الطائعين، ولاحظ الصفات الترغيبية للطائعين؛ فالحديث عنهم بلفظ(عبادي)، وفارق بين العباد والعبيد؛ فالأولى فيها تشريف لأن خلفها ظلال العبادة لله، وقد خاطب الله بها نبيه في أشرف المواطن، فقال في الإسراء:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(1)﴾الإسراء، وكذلك وفي مقام التشريف بنزول الوحي فقال:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)﴾ الكهف، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)﴾الفرقان، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(10)﴾النجم، ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(9) ﴾ الحديد، وفي مقام النصرة والولاية قال:﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾الزمر(35) .

ثم الإضافة لياء المتكلم بما تحمل من طاقة نفسية هائلة في الاستناد لله -عز وجل- وأنه يعدهم بعدم جعل سبيل للشيطان عليهم.

-التقديم لخبر ليس(لك)، ومعلوم أن التقديم للأهمية كما أشار سيبويه، والأهمية هنا هي تيئيس الشيطان من تسلطه على المؤمنين، وبهذا يرغب الله -عز وجل- المؤمنين في القرب من ربهم وتحقيق كمال العبودية لينالوا شرف رعاية الرب وحفظه لهم.

-اختيار لفظ(سلطان) ويعني الحجة والبرهان [58]، لنفي أدنى حجة للشيطان على المؤمنين، و(على) توحي بالاستعلاء، فالله يعدهم بعدم استعلاء الشيطان عليهم.

---

56 – معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ – 1988 م، انظرج3صـ 178

57 – إعراب القرآن وبيانه: جـ5 صـ 241

58 –لسان العرب: انظر مادة سلط.

- تدعيم خطاب الرافضين للدين ببيان سبب الضلال وهو اتباع الشيطان، والغواية هي: "الغَيُّ: الضَّلالُ والخَيْبَة"[59]، واسم الفاعل منها يوحي بثبوت الوصف لهم، وقد وسم إبليس نفسه بذلك ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)﴾ الأعراف، إذن فنحن أمام سمة مشتركة بين الغاوي والمغوي وهي الضلال الناتج عن الرفض للحق ، ولاحظ أسلوب التأكيد بـ(إن) في حال الطائعين والغاوين.

-التفصيل في عذاب الغاوين وفي وصف جهنم وأبوابها ليردهم عن إبائهم الخضوع للحق فقال: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ(44)﴾ واستخدام لفظ(جهنم) -وليس النار- لبث الرعب في قلوب الغاوين، و"الجِهنّامُ: القَعْرُ الْبَعِيدُ. وَبِئْرٌ جَهَنَّمٌ وجِهِنَّامٌ، بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْهَاءِ: بَعِيدَةُ القَعْر، وَبِهِ سُمِّيَتْ جَهَنَّم لبُعْدِ قَعْرِها"[60]، ثم إنها موعد، والموعد له زمن محدد، وملزم في الوفاء به، وكأن جهنم تنتظرهم أن يوفوا بوعدهم ويدخلوها، ثم التأكيد بـ(أجمعين)، وبيان وصف جهنم ليرتدع المعرض فقدم الخبر(لها) للترهيب مبينًا أبوابها، وأن أرباب كل باب معلومون، والهدف من ذلك هو ترهيب المعرضين للإقبال على رب العالمين، ثم ذلك الختام بالالتفات الذي غابت فيه شخصية الشيطان والغاوين مع تغييبهم في جهنم؛ ليكون ذلك وعيدًا على غيهم وتهديدًا لهم إن استمروا على رفضهم للحق.

في حين أنه لم يذكر شيئًا من ذلك في(ص) ؛ لأنه أمام قوم مستكبرين على الخالق فذكر نجاة من عصى إبليس من المؤمنين لا تشغلهم، والتفصيل في وصف جهنم وأبوابها لن يردعهم، فكانت الخاتمة بالوعيد وبيان المصير الحق، والتأكيد على لزومه من خلال تكرار (الحق) وتكرار ضمير المخاطب إبليس، ومادة(قول)، والتكرار اللفظي في (أجمعون)، ثم القسم المدعم باللام ونون التوكيد الذي يستخدم في خطاب المنكر، ثم تأكيد أن سبب الدخول هو التبعية للشيطان فقال: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)﴾، ثم تفصيل الداخلين﴿مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾؛ ليكون الخطاب للشيطان تعريضًا بكل من تسول له نفسه الاستكبار عن أمر الله، ويشير إلى أن من سنَّ سنة الاستكبار سيكون أول من يجازى بها ويتحمل وزرها، ثم الفعل ملأ يحمل تهديدًا ووعيدًا من جهة؛ كما يوحي بكثرة هذا الصنف من البشر من جانب وأن غالبية العصاة منهم، وكأنه يشير إلى فراغ النار من العصاة قبل أن تملأ من أمثال هؤلاء المستكبرين.

**ثالثًا : الآيات المتشابهة**

59 –السابق: مادة غوى.

60 –السابق: مادة جهنم.

أ- قوله تعالى في الحجر﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)﴾، وقوله في ص ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)﴾

حيث يكمن الفارق بين الآيتين في أمرين :

1-ذكر الواو الاستئنافية في الحجر وعدم ذكرها في (ص)، وقد سبقت الإشارة إلى وجود آيتين تمهيديتين وضحتا بداية خلق الإنس والجن في سورة الحجر دون سورة" ص" وهما متصلتان دلاليًا بقوله تعالى: ( وإذ قال ربك.... الآية) ، ومن ثم فإن الواو الاستئنافية أبرزت الجملة التي تليها لأنها تمثل البداية الفعلية لقصة خلق آدم، حيث حملت الواو عبء تعظيم شأن ما يليها وتنبيه المخاطب لأهميته، خاصة أن المخاطب معرض لاه فكان التنبيه أليق بحاله، كما أنها حافظت على الربط بين السياق السابق لها واللاحق عليها، في حين أن قصة خلق آدم في (ص) لم تحتج لهذا التنبيه لأنها لم تعتمد على مقدمات، وإنما واجهت الكافرين المعاندين بها دون تمهيد لتحدث لهم المفاجأة بإسقاط حالهم على حال إبليس والمقارنة بين المقدمات المتشابهة المرتكزة على العناد والاستكبار، ثم المحازاة بين المواقف التي تبدو مشتركة بينهما من حيث الاستكبار على طاعة الخالق وأخيرًا النتائج التي ستؤدي حتمًا للمصير ذاته.

2- بيان طبيعة المادة التي خلق منها آدم؛ حيث ذكر أنه خلق من طين في سورة (ص) وبين أنه خلق من صلصال من حمأ مسنون في الحجر، وذكر الطين فيه بيان لمدى ضعف ذلك المخلوق، وبدائية مادة صنعه، ومن ثم فهو يحمل تذكيرًا وسخرية لأولئك القوم الذين تكبروا وتغافلوا عن مهد نشأتهم من طين، وبهذا ناسب ذكر الطين طبيعة الحجاج في السورة في حين أن ذكر ﴿صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ تذكرنا بصوت الصلصال الأجوف الذي لا ينم عن تطور حقيقي في مادة الصناعة ولا يحمل فائدة في ذاته، وإنما هو تصويت فارغ لا فائدة منه ولا خير فيه، وبهذا فهو يتناغم مع جدل من لا حجة له، فهو لا يملك إلا التأبي على الحق، وهم ذلك الفريق المخاطب في سورة الحجر. وقد رأى السامرائي أن الاستخدام القرآني للفظ صلصال يرجع إلى أن صلصال مكونة من صاد، وهو مفتتح سورة (ص) ، ومن ألف ولام وهما مفتتح الحجر، وقد تكررت الكلمة في القصة مرتين، فتكون اللام تكررت أربع مرات والألف مرتين والصاد أربع مرات، وعلى هذا يكون وضع الكلمة في السورة المبدوءة بالألف واللام أنسب؛ لأن مجموع ترددها أكثر من صاد، ثم إنه ذكر خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون في الحجر فناسب ترددها في صلب القصة [61]

[61] –التعبير القرآني : انظر صـ311

ب-وقد تشابهت آيتان تمام التشابه عدا في فارق دقيق هو طريقة التعريف في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الحجر(35) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ص(78)، وفي الحالين تقدم الضمير المتصل بإبليس(المدعو عليه)وذلك "إيذان باختصاصه بذلك الدعاء، وأنه عليه وحده، كأنه قيل له هذا عليك وحدك لا يشركك فيه السامعون بخلاف الدعاء بالخير فإن المطلوب عمومه " [62] .

أما بالنسبة لتباين طريقة التعريف بين (اللعنة) و(لعنتي) ،فقد دارت أقوال أئمة المفسرين من أمثال الإسكافي والكرماني والغرناطي حول القول بمشاكلة السياق الذي بني على ذكر الجنس في سورة الحجر فقال: (ولقد خلقنا الإنسان.. والجان خلقناه.. فسجد الملائكة... عليك اللعنة) ، في حين أنه تقدم في سورة (ص) (بيدي) فشاكل ذكره (لعنتي) في طريقة الإضافة ذاتها [63]، وعلى الرغم من دقة هذا التفسير إلا أن مطالعة البناء العام للسورتين ومحاولة الوقوف على عمود السورة في كلتيهما يجلي فارقًا آخر؛ حيث ناسب ذلك الجو المشحون في خطاب أولئك المعاندين المستكبرين في سورة(ص) المزيد من الوعيد والتهديد من خلال إضافة العذاب لله –عز وجل- والممثل في اللعنة والطرد من رحمة الله فقال: (لعنتي)، في حين كانت طبيعة الوعيد للكافرين الرافضين للحق في سورة الحجر أقل حدة لأنهم لم يستكبروا استكبار نظرائهم في (ص) ومن ثم قال: (اللعنة)، وكفى بها تعريفًا أنها من الله -عز وجل- .

ج- قوله في الحجر ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39)، وقوله في ص ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) ﴾

إن الآيتين تحملان قسمًا صريحًا من إبليس على إغواء آدم وذريته، وتتمثل الفروق بين الآيتين فيما يلي :

-لقد ركز في الحجر على مادة غوي( أغويتني، لأغوينهم، الغاوين) وهي تحمل معنى الضلال والخيبة والفساد[64]، وهذا التركيز على تلك المادة يذكرنا بطبيعة المخاطب الأبي،وأن قصة إبليس ما هي إلا تعريض بحالهم ، فهم تركوا الإيمان بالنبي- صلى الله عليه وسلم- غواية وإباء، في حين

---

62 –بدائع الفوائد : مج1ج2 صـ378 .

63 –راجع درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الإسكافي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1416 هـ، 1995م ، انظرصـ141 ، البرهان في متشابه القرآن : انظرصـ215 ،ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ،وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط1 ،1427هـ ، 2006 م ، انظرصـ290.

64 – لسان العرب : انظر مادة غوى .

ذكرت مادة غوى في (ص) مرة واحدة، وذلك أن النص يتحدث عن قوم مستكبرين، ومن ثم فإن المفردات التي تحمل دلالة الاستكبار والعلو هي الأليق ببنية النص (أستكبرت، العالين، أنا خير ...)

- ويفسر الزمخشري الفارق بين طبيعة القسمين في السورتين أن قسم سورة الحجر إنما هو قسم بأفعال الله، وقسم (ص) قسم بصفات الله "ونحو قوله: ﴿بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾، قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾في أنه إقسام، إلا أن أحدهما إقسام بصفته، والثاني إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما. ويجوز أن لا يكون قسمًا، ويقدر قسم محذوف، ويكون المعنى: بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلنّ بهم نحو ما فعلت بى من التسبيب لإغوائهم، بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم "[65]

إلا أننا لا بد أن نلتفت إلى ذلك القسم بعزة الله المذكور في(ص)، "والعِزُّ والعِزَّة: الرِّفْعَةُ وَالِامْتِنَاعُ"[66]، فالشيطان أدرك أنه وإن تكبر على آدم إلا أنه لن يتكبر على العزيز سبحانه، فهو يدرك عزة المولى -عز وجل-، وفيه تعريض بالمخاطبين المستكبرين الذين رفضوا الإيمان كبرا فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)...أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ(8)﴾ص .

فنفس إبليس نفس حانقة على آدم وذريته، فقد أراد أن يثبت تميزه عليه فلم ينل ما أراد بل رجع بسخط الله عليه، وتفضيل آدم ، فكان منه ذلك التهديد والوعيد الذي يذكرنا بنفسية المشركين الذين كانوا يطمحون في الفضل والتميز فلما علموا بالنبي- صلى الله عليه وسلم - وبصدق أمره قالوا أنى لنا هذا الفضل، فقد رُوي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي جَهْلٍ بِمَكَّةَ , فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ " هَلُمَّ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى كِتَابِهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ, فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ, مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ, فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ, قَالَ: فَانْصَرَفَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنْ بَنِي قَصِيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ, فَقُلْنَا: نَعَمْ, ثُمَّ قَالُوا: فِينَا الْقِرَى, فَقُلْنَا: نَعَمْ, ثُمَّ قَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ , فَقُلْنَا: نَعَمْ , ثُمَّ قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ , فَقُلْنَا نَعَمْ , ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى

---

65 – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جـ3صـ406 .

66 – لسان العرب مادة عزز

إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ"[67] فذلك أبو جهل الذي كان موقفه مع النبي – صلى الله عليه وسلم- سببًا لنزول سورة (ص) فإذا كانت نفس أبي جهل ومن على شاكلته من مستكبري المشركين أبت الإذعان للحق، فإن نفس إبليس أدركت عزة الله -عز وجل- فأقسم بها فكان أفقه من أولئك المستكبرين .

في حين أن الوضع في سورة الحجر خلاف ذلك فقد ذكر اللعين فيها أنه سيزين لبني آدم ما يفتنهم عن الطاعة، وهو ما يلقي الضوء على طبيعة المخاطب الأبي المفتون الذي أبي الإيمان مع أنه ود لو يؤمن﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ(2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)﴾ الحجر، ثم إن القسم بالربوبية محاولة لتذكير المعرضين عن رب العالمين بآلاء الربوبية خاصة بعد تذكيرهم ببداية الخلق من صلصال من حمإ مسنون. ومعلوم أن القرآن وظف آيات الربوبية في إقناع المعاندين بتوحيد الربوبية.

## خاتمة وأهم نتائج الدراسة والتوصيات

وختامًا فقد حاولت الدراسة توظيف آلية من آليات علم النص وهي البنية الكبرى للوقوف على بعض الأسرار البلاغية للمتشابهات القرآنية، وذلك على مستوى التشابه بين الآيات المفردة، والتشابه بين المشاهد القرآنية، وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج وأتوقف عند أبرزها، وهي على النحو التالي:

[67] – المصنف في الأحاديث والآثار :أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت ،مكتبة الرشد ، الرياض، ط1، 1409 هـ ، ج7 صـ 255 ،رقم 35829

1- إن توظيف البنية الكبرى في تفسير النص القرآني ليس وليدًا للدراسات النصية الحديثة ، فقد وجد في تفاسير القدماء من التفت لتلك الظاهرة وأبرزهم البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، والشيخ حميد الدين الفراهي .

2-إن طريقة التعرف على البنية الكبرى للنص تستلزم الوقوف على بعض العناصر أبرزها تحديد المحاور الرئيسة للسورة والمعاني المشتركة بينها ،والوقوف على سبب النزول ، ثم تحديد الآيات المحورية في السورة .

3- يرتبط تفسير المتشابهات القرآنية بطرفين وهما: السياق، والبنية الكبرى أو المقصود الأعلى للسورة ، ومن ثم فإن الوقوف بالتفسير عند أحد الطرفين تكون نتائجه جزئية ومبتسرة، فلابد من لمح العلاقة بين المتشابهات والسياق من جانب، والمتشابهات والبنية الكبرى من جانب آخر ، ثم الربط بين المتشابهات بعضها ببعض .

4- يرتكز إدراك التشابه على مستوى المشاهد القرآنية على دراسة ثلاثة محاور هي: الآيات المكررة ، الآيات المتباينة ، الآيات المتشابهة ، ولكل نمط من الآيات وظيفة في المشهد القرآني فالآيات التي تتكرر بين تلك المشاهد تعمل على الحفاظ على أصل المعنى المشترك بين المشهدين والربط بين السورتين، في حين أن الآيات المتباينة والمتشابهة هي التي تحدد عناصر التمايز بين المشهدين، والصور الثلاثة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالبنية الكبرى كما تجلى من الدراسة.

5- أن القرآن الكريم لم يضع الكافرين كلهم في سلة واحدة من حيث طريقة الحجاج معهم وإنما راعى الفروق الفردية بينهم فحجاج الأبي يباين حجاج المستكبر، وقد اعتمد القرآن على ضرب المثال في ذلك بما يتناسب مع طبيعة كل منهم ، وهي سمة شديدة الحساسية تفسر الكثير من الآيات التي تخاطب الكفار وتتباين من خلالها وسائل الحجاج.

وأكتفي بهذا القدر من النتائج وانتقل إلى أبرز التوصيات؛ حيث توصي الدراسة بأمور ثلاثة:
الأول: إتمام الجهد الذي بدأه الشيخ الفراهي في تحديد نظام للقرآن ودراسة القرآن الكريم كاملًا بوصفه نسقًا واحدًا مرتبًا بترتيب معجز ليؤدي دلالة خاصة من خلال ذلك النظام القرآني . وقد حاول صاحب التفسير البنائي للقرآن الكريم القيام بجهد في هذا الصدد إلا أن هذا الجهد الفردي يبقى محدود الثمار في هذا الجانب، ولعل ثمار العمل المؤسسي أكثر فائدة في هذا الصدد .

الثاني: العناية بتحديد عمود السورة أو البنية الكبرى لها قبل الدخول إلى عمق التفسير والتعرف على الأوجه البلاغية ؛ لأن ذلك يعطي بعدًا أعمق في قراءة السورة واستشعار المعاني

وبناء الدلالات من التقديم والتأخير والذكر والحذف، بل والتعرف على طرائق التصوير البياني أيضًا ... .

الثالث: إعادة دراسة المتشابهات القرآنية ومراعاة ربطها بجانب السياق والبنية الكبرى للنص للتعرف على القيمة البلاغية لها .

## قائمة المصادروالمراجع

- أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1411،1هـ - 1991 م

- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق :د. عبد القادر حسين ، دار غريب، القاهرة، 1432هـ-2011م.

-إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش،دار اليمامة( دمشق–بيروت)،دار ابن كثير(دمشق –بيروت)، دار الإرشاد للشؤون الإسلامية( حمص- سورية)، ط1412،3هـ-1992م، ج5،6.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ ، ج2.

-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420هـ، ج3.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، تحقيق:أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة،1419هـ، ج3.

- بدائع الفوائد : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، اعتنى به : صابر بن فتحي بن إبراهيم، وفارس بن فتحي بن إبراهيم ، دار الهيثم ، القاهرة،ط1، 2007م .

-البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية :جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م .

- البرهان في متشابه القرآن : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، تحقيق : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط2 ، 1418 هـ، 1998 م .

- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، 1996م .

- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984هـ، ج4، 17.

- التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، ط1430،6 هـ 2009 م

- التفسير البنائي للقرآن الكريم : د. محمود البستاني، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ، مشهد ، إيران، ط1، ج3 .

- التفسير القيم : الإمام ابن القيم ، جمعه : محمد أويس الندوي، حققه : محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1408هـ-1998م .

- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الإسكافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1 ، 1416هـ، 1995م .

- دلائل النظام : عبد الحميد الفراهي الهندي ، المطبعة الحميدية ، 1388هـ .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، تحقيق فؤاد بن سراج عبد الغفار ، المكتبة التوفيقية، القاهرة ،مصر، ج9 .

-الزمر – محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، القاهرة، 2012 م .

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزيه، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض، ج1

- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق : د. سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة القاهرة، ط2، 2005م .

- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر

- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية أفاق جديدة : د. سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2، 2010م .

- في ظلال القرآن،سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط22، 1414هـ-1994م،ج5

- قراءة في الأدب القديم:د.محمد محمد أبو موسى،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1427،3هـ،2006م.

-كتاب دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه:أبو فهر محمود محمد شاكر،دار المدني بجدة،المؤسسة السعودية بمصر،ط3، 1423هـ -1992م .

- كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزيه، تحقيق : علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة ، الرياض، ج1

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط1، 1418 هـ ، 1998م ج3، ج5.

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة، تحقيق د. عبد الجواد خلف، سلسلة منشورات الجامعة الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط1 ،1410هـ-1990م

- لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: نخبة من الأساتذة المتخصصين، دار الحديث ، القاهرة، 2003م.

-لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت ، لبنان ، ط2، 2006م .

- محتويات سور القرآن الكريم:أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الطويل، مدار الوطن ، الرياض، ط1 ،1434هـ-2013م.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1422 هـ ، ج1.

- المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت،مكتبة الرشد، الرياض، ط1409،1هـ، ج7.

-معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1428هـ-2007م.

-معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م،ج3

- المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة: د. يسري نوفل ، دار النابغة ، القاهرة، الإسكندرية ، ط1، 1436هـ-2014م .

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 ، 1420 هـ، ج9.

- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي،مكتبة الحياة،بيروت، لبنان،1490هـ-1980م.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1427هـ ، 2006 م .

-منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3، 1986 م .

-النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ،1428 هـ ، 2007م .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند،1403هـ،1983م ، ج12، ج14.

- الواو ومواقعها في النظم القرآني : محمد الأمين الخضري ، مكتبة وهبة، القاهرة، 2015م .

**البحوث**

- وسائل الخطاب القرآني في الحجاج وخصائصه : د. بن عبد الله واسيني ، ضمن مجلة مختبر اللغة والتواصل، وقد صدر العدد بعنوان مباحث الحجاج بين التنظير والإجراء بحوث علمية

محكمة في الحجاج، منشورات مختبر اللغة الوظيفية، المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان-الجزائر أعمال الملتقى الدولي 14-15 أفريل 2015 م .